

المحاضرة 8

الوقاية والعلاج من الانحرافات السلوكية للطفل والمراهق:

أولا علاج الانحرافات

1- **العلاج الفردي**: يوحي هذا النوع من العلاج إلى الاعتقاد بأن كل حالة من حالات الانحراف أسبابها مستقلة وهي تختلف كليا عن الحالات الأخرى، وأنه تبعاً لذلك يبحث كل حالة بحثاً منفرداً عن الحالات الأخرى، لأن ما يعتبر سبباً للجنوح في حالة معينة لا يعتبر سبباً لحالة أخرى . ويرى أصحاب هذا الرأي من الخطأ وضع معايير ثابتة لتوضيح أسباب وظروف الانحراف أو القول بفرديّة العلاج بمعنى أن لكل حالة انحرافية طريقتها العلاجية الخاصة بها. ومن ثم فإن اختيار نوع العلاج يحتاج إلى فحص وتمحيص لمسببات الانحراف ودوافعه، كما يجب الغوص للبحث عن كل حالة انحرافية بصورة منفردة والبحث عن علاج يتناسب مع هذه الانحرافية المنفردة ، ويعتمد فيها طرق العلاج النفسي التحليلي كالتفريغ الانفعالي وكذلك العلاج السلوكي والمعرفي السلوكي وكذا تعتمد تقنيات كالأسترخاء لتقليل من التوتر والقلق الذي قد يسود حالة الطفل أو المراهق المنحرف

ويكون تطبيق فردية العلاج على أساس تغيير شخصية الحدث أكثر مما تقوم على تغيير خصائص المجتمع الذي ينشأ فيه وكل محاولة لتغيير الظروف المحيطة به يجب أن يكون هدفها الرئيسي هو شخصية الحدث نفسه . وتهدف هذه الطريقة أولاً وأخيراً إلى إعادة تكوين الطفل تكويناً سليماً

2- **العلاج الاجتماعي** : ويكون التركيز في هذا النوع من العلاج على مساعدة الحدث في مشكلته الانحرافية علاجاً إيجابياً وذلك بدراسة الظروف البيئية والاجتماعية والاقتصادية للحدث و أسرته ومحاولة إزاحة هذه الظروف السيئة التي كانت السبب في هذا السلوك المنحرف أو حتى النقل منها ، ونجد أن هذه الطريقة تنظر إلى الحدث والظروف المحيطة به لأن كل منها جزء مكمّل للآخر، وهذه الظروف هي التي أسهمت في تكوين شخصية الحدث ويلزم من هذا تصحيح الأوضاع وعدم إغفالها عند تقويم شخصية الحدث إذا تعذرت إزاحة هذه الظروف المسببة للانحراف، فإن العلاج في انتزاع هذا الحدث وإيداعه في مؤسسة اجتماعية أو لدى أسرة بديلة، أو إسناد أمر الإشراف عليه إلى باحث اجتماعي

ثانياً الأساليب التربوية للوقاية من الانحرافات السلوكية: ولقد ضمن الدكتور شحاته محروس في دراسة له حول الانحرافات السلوكية من وجهة نظر المراهقين عشرة أساليب تربوية من الأساليب التربوية الوقائية يرى بأنه من شأنها وقاية أبنائنا من الوقوع في ورطة الانحراف السلوكي، وهذه الأساليب التربوية نحب أن نستخدمها الآباء والمربون مع الأبناء منذ الصغر، ونفضل لهم الاستمرار على التعامل معهم طوال حياتهم باستخدامها. فهذه الأساليب التربوية تمثل الإجراءات الوقائية التي تقي أبنائنا من جميع الانحرافات السلوكية، فنقترح على الآباء والمربين اتخاذ التدابير اللازمة للتعامل مع الأبناء باستخدام تلك الأساليب.

الأسلوب الأول: تربية الثقة بالنفس لدى الأبناء:

فالأبناء غير الواثقين في أنفسهم يكون من السهل جدا انجرافهم إلى تيار الانحرافات السلوكية الملعون، أما الطفل أو المراهق أو الشاب الواثق في نفسه؛ فإنه يرفض الاستعانة بأى وسيلة مصنعة أو ضارة ليثبت للناس أنه رجل، كما أنه يرفض تقليد الآخرين ممن سيطرت عليهم الانحرافات المرذولة، وفي نفس الوقت فإنه لا يرضخ لضغوط المنحرفين الذين يعيرونه بأنه طفل، لأنه غير قادر على اتخاذ قرار الانحراف، وأن الواثق في نفسه لن يختلط أصلاً بالمنحرفين، وأخيراً فإن الواثق في نفسه يدرك تماماً أن الانحراف لن يضيف إليه شيئاً، ولن يمكنه من إنجاز ما لم يستطع إنجازه بدونه، والإنسان الواثق في نفسه يدرك ببساطة الفرق بين الصواب والخطأ، فسوف يفهم خطورة الانزلاق إلى مستنقع الانحرافات السلوكية، فهي جميعاً تنتمي إلى الموبقات، أما عن كيفية تربية الأبناء على الثقة بالنفس فهذه لها أفكارها وبرامجها وتدريباتها، وليس هنا مكان ذلك كله.

الأسلوب الثاني: التواصل الجيد بين الآباء والأبناء:

إن حرص الآباء على التواصل الجيد مع الأبناء من شأنه فتح الطريق واسعا بينهما لتداول أية آراء، أو مناقشة أية مشكلات، ومن شأنه الاستماع إلى المراهقين حتى إن كانوا يخالفونهم الرأي، وفتح مجال مناقشة أية موضوعات مناقشة هادئة وهادفة في نفس الوقت، وفتح مجال للصراحة والوضوح في طرح المشكلات ومناقشة الموضوعات، وعدم التعرض لجرح المشاعر الشخصية للأبناء أثناء المناقشات، وتدريب الأبناء على الاعتراض المهذب، والنقد المؤدب، والاقتراح الواقعي، وأخيراً فإنه يعنى فتح مجال لحكاية الخبرات المختلفة سواء

كانت خبرات طيبة أم خبرات سيئة، وسواء كانت خبرات تخص جيل الآباء أم تخص جيل الأبناء، وفى النهاية يشعر كلاهما أنه يشارك الآخر أفكاره، ويعيش مشاعره، ويحمل معه همومه، ويشعر معه بالآلامه، ويقاسمه طموحه وآماله.

الأسلوب الثالث: مساعدة الأبناء على استثمار وقت الفراغ:

وهذا نمط راق ورائع من مشاركة الأبناء فيما يعود عليهم بالنفع، فمن المعروف أن وقت الفراغ الذى لا يجد الشاب له استثمارا هو أعدى أعداء الشباب، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة والفراغ " (البخاري) وهاتان نعمتان متوافرتان بشدة لدى الشباب، فيكون عدم استثمار الشباب لهما هو ضياع رأس مال الشاب، فالصحة والوقت هما رأس رأس مال الشاب، ويكون ذلك هلاك له فى الدنيا والآخرة، ويكون عدم تدريب الشباب على استثمار وقت فراغه فيما يفيد تقصير كبير لا يغتفر للآباء والمربين، ويدخل فى ذلك الأمر تشجيع الأبناء على ممارسة الحرف اليدوية التى يحبها، وحبذا لو كانت تلك الحرفة تدر عليه قدرا من المال، وحبذا لو يساعده الكبار فى تسويق ما ينتج وبيعه، أو يعطى الشباب الفرص للعمل لدى الآخرين بمقابل دون حرج، ولا بد من ذلك مهما كان الشاب غنيا، أو كان والده وأهله أصحاب مكانة فى المجتمع، إنما نريد أن نقرّ عرفا باعتراف مجتمعاتنا بضرورة العمل اليدوى للجميع حتى تنمو، كما يتطلب استثمار وقت الفراغ القيام بأنشطة اجتماعية، وعمل الزيارات، والقيام بالاشتراك فى أعمال الجمعيات الخيرية، ومساعدة المرضى والمحتاجين، والعمل على رعاية الأيتام، والمساعدة فى ما يمكن للشباب أن يقوم به من أعمال الخير، كما يتضمن أخيرا إشباع الهوايات الشخصية المفيدة كلها. والعمل التطوعى، ولذلك كله برامجه التى تتناسب مع البيئة والإمكانات والشباب أنفسهم.

الأسلوب الرابع: العمل والعلم، أو الاحتراف مع التعليم، أو محاربة البطالة بالفكر:

فليس من المعقول ، ولا هو أصبح من المقبول ، أن يختار الشاب بين طريقين: إما طريق التعليم بما يستلزمه ذلك من إنفاق الآخرين عليه، وامتداد فترة طفولة شبابنا حتى تصل إلى سن الثانية والعشرين فى بعض البيئات، فتجد أن الشاب لا يستطيع الاعتماد على نفسه، ولا يستطيع أن يخدم نفسه، ولا حتى يستطيع أن يحل مشكلة واجهته، وكأننا نقرن بين التعليم

والتدليل. وإما أن يختار طريق العمل ، وكسب قوته، بما يستلزمه ذلك من فراق التعليم، ومخاصمة أهله، وهجر أدواته ، والبعد عن مؤسساته، فيصير العامل جاهلا، بكل ما يدور حوله، ولايستطيع أن يطور نفسه أو فكره أو عمله فى يوم من الأيام. أما اقتران العمل بالعمل فهو دأب الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان، وفهم طريقتهم فى الحياة، فقد كان لكل عالم منهم مهنة يعرف بها، وتصير علما عليه.

الأسلوب الخامس: تنمية مراقبة الله، أو تربية الضمير، أو تربية التحكم داخلى المنشأ:

فمن غير الممكن أن تحاول أى دولة أو مؤسسة أو أسرة أن تراقب أبناءها طوال ساعات يومه، فى يقظته ونومه، فى طعامه وشرابه ، فى حله وترحاله، حينما يكون منفردا أو فى وسط أصحابه، فى البيت أو الشارع حيثما كان، فيكون من الضرورى واللازم أن نربى فى أبنائنا طريقة أخرى للمراقبة، ووسيلة أخرى للتقويم، ولن تتأتى المراقبة الدائمة والصحيحة والصحية إلا من داخله، وهنا يكمن حل كثير من المشكلات السلوكية، سواء كانت تنشأ حينما ينفرد الشاب بنفسه ، أو حينما يتواجد مع أصدقاء السوء، فإذا استطاع المربى أن يُحى الشعور داخله بمراقبة الله الذى يراه حين يقوم، وإذا استطاع المربى أن يوقظ الضمير داخل الشاب حتى يلومه ويؤنبه حينما يقترب من المحذور، يكون المربى بذلك قد استطاع أن يربى لدى الشاب التحكم الداخلى المنشأ، الذى لا يكون له بديلا خارجيا أبدا ، ولم يكن ، ولن يكون، وحينئذ يكون الشاب صالحا فى نفسه، مصلحا لغيره ، يعيدا عن غواية الشيطان، وتكون أفعاله وأقواله متسقة مع بعضها، ويكون داخليا وخارجيا متساوق مع نفسه، فيحيا خاليا من الضغوط النفسية ، ومن العلل والأمراض النفسية التى تجد داخل النفسيات الممزقة بين المشارب المختلفة، وتجد فى التشتت الفكرى والسلوكى مرتعا خصبا.

الأسلوب السادس: التقليل من ممارسة الضغوط النفسية على الأبناء:

فالضغوط النفسية تدفع الإنسان إلى الشعور بالقلق والتوتر والخوف مجهول الأسباب، وهذه كلها ممهيات للمشكلات النفسية والسلوكية، فإذا تم التخفيف من تعرض الأبناء للضغوط النفسية خفت وخفتت فى نفس الوقت حالات الشعور بالتوتر والقلق، وبالتالي التقليل من حالات الاكتئاب. ومن الجميل تربويا أن يدرب الآباء أبناءهم على التعبير عما يعتمل فى

نفوسهم، وتدريبهم على النقد البناء بأسلوب مهذب وجميل، والتعبير عما يجول في خواطرهم بكلمات راقية، وتوجيه ما يريد أن يوجهه من انتقادات للآخرين بأدب جم، وذوق رفيع، وتدريب الأبناء أيضا على التحكم الذاتي بما لا يجعله يندفع نحو الانحرافات السلوكية. وعدم اتهام الأبناء بما ليس فيهم، ولا توجيه التهم لهم بدون دليل، فإذا اتهمنا المراهق بأنه منحرف وهو ليس منحرفا بالفعل؛ فنكون بذلك ندفعه دفعا نحو هذه النوعية من الانحرافات التي نتهمه بها، التعامل مع الأبناء نقترح أن يوجد فيه القدر الكافي من الاحترام لهم والتقبل لما هم عليه بالفعل، ثم الانطلاق منه نحو الإصلاح.

الأسلوب السابع: عمل برامج تدريبية لتقوية الإرادة لدى الشباب:

والإرادة حينما تعمل فإنها تقوى، والتحكم الذاتي حينما يُختبر فإنه يعمل، فنقترح على الآباء تدريب أبنائهم على اختبار إرادتهم في أمور صغيرة وقابلة للتنفيذ دون أن تحتاج منه جهدا كبيرا، ثم نتدرج معهم حتى يتم التوقف عن بعض الممارسات التي تعد من قبيل العادات، ثم ندع لأحدهم الفرصة التي يدرّب فيها إرادته في الامتناع عن أى شئ يود هو الامتناع عنه، مثل الامتناع عن تناول الشاي الغامق جدا، أو كثير السكر، أو الامتناع عن الأكل بطريقة معينة ، أو تناول ما لم يكن يتناوله من قبل من مأكولات، ويتم ذلك التدريب كله قبل التعرض للدخول في برنامج التوقف عن الانحرافات السلوكية التي يمارسها، والأصل في تنمية الإرادة والتدريب على التحكم الذاتي هو ما يطلق عليه في العرف الإسلامى "مجاهدة النفس" ، والأصل في مجاهدة النفس الامتناع عما يحب الإنسان، إن كان يغضب الله، أو يبعد الإنسان عن النار، حتى لو كان يرضى جميع الناس، وفعل ما تكره النفس إن كان يرضى الله ، أو يقرب الإنسان من الجنة، حتى لو كان يغضب كل الناس، والحادى في ذلك هو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات " ، إذن الإقبال على ما تكرهه النفس، والبعد عما تهواه النفس، هو طريق الموصول إلى الجنة، وهذا نفسه هو صلب تدريب الإرادة وتربية التحكم الداخلى فى النفس. وهذا الموضوع كبير حقا لا يتسع له المجال هنا.

الأسلوب الثامن: ممارسة الرياضة:

وحدث عن ضرورة وأهمية ممارسة الرياضة لدى كل الناس ولا حرج، خصوصا ممارسة الشباب لها، وهى خط مساعد أصيل فى ممارسة العلاج النفسى، فممارسة التمارين الرياضية شئ مهم بالنسبة للتدخين مثلا، لأنها تزيد من افراز هرمون أندروفينز الذى يساعد الفرد على التخلص من ادمان النيكوتين، ويساعد الفرد على مقاومة الشعور بالاكتئاب، ونقترح على الآباء ضرورة تشجيع الأبناء على ممارسة الرياضات المختلفة بكل وسائل التشجيع الممكنة، بما فى ذلك الإنفاق المالى حتى لو كان زيادة من وجهة نظر الآباء، فإن هذا الإنفاق إنما هو توظيف للأموال وتنمية لها فى صورة تربية الأبناء تربية طيبة، والبعد بهم عن غول الانحرافات السلوكية البشع، وتدريبهم على بذل الجهد فى الرياضة إلى أقصى طاقة يتحملها الفرد، وحبذا لو تم تشجيع المراهق حتى يدخل فى خط إحرار البطولات، سواء كانت محلية أو دولية.

الأسلوب التاسع: تدريب الأبناء على التمسك بالحرية والكرامة وعزة النفس:

فتربية الأبناء على ضرورة الاحتفاظ بعزة نفسه وكرامته، وعدم السماح لأى من الناس كائن من كان بإهانته أو ذله أو تحقيره أو حتى التقليل من شأنه، فنقترح أن يتم تدريب الأبناء منذ الصغر على أنه لا يصح أن يفرط أحد منهم فى حرته، أو كرامته وعزة نفسه لأى سبب مهما كان، وأن يتجنب كل ما يقيد حرته، سواء كان ذلك القيد فى صورة عادة سيئة، أو شخص سيئ، وحبذا لو يستطيع الآباء ربط الشعور بالحرية لدى المراهق بالتخلص من جميع العادات السيئة، وربط الشعور بالكرامة وعزة النفس بالبعد عن كل ما من شأنه تعريضه لأى نوع من ذلك أو استجداء الآخرين، وبالتالي عندما نطلب منه التخلص من الاعتماد على الدخان، أو ممارسته لأى نوع من أنواع الانحراف حتى يصل إلى الشعور بالحرية؛ يستطيع أن يدرك هو ذلك، وقد يصل إلى تلك النتيجة بنفسه دون أن يطلب منه ذلك أحد، وربط العادات السيئة بالتفريط فى جزء من الكرامة وعزة النفس، فإن العادة السيئة قد تضع صاحبها فى مواقف محرجة، وذلك الحرج يقلل من عزة الفرد ويضع هيئته ويحط من كرامته.

الأسلوب العاشر: تقوية دور الإرشاد النفسى والتربوى والأسرى داخل المجتمعات:

فإذا تواجدت المؤسسات الإرشادية ، وتوجد بها المرشدون المدربون العلماء بكيفية الإرشاد الصحيح، وكيفية توجيه النصح بأدابه وفقهه اللازمين، وزاد دعم الكبار والحكام والعلماء لتلك المؤسسات، فإنه من الضروري أن دورها فى إرشاد الشباب وتوجيههم سيكون مؤثرا، ومن المعروف أن الوقاية خير من العلاج، فالإرشاد الذى يسبق وقوع الشاب فى الانحراف بمثابة الوقاية، والعاقل ينفق على الوقاية ببذخ شديد، فهو يدرى أن ابنه لو وقع فى المحذور، ووقع أسير انحراف سلوكى ما؛ سيضطر أن ينفق عليه دون حساب، وقد كان يمكنه الإنفاق أقل من ذلك بكثير على الوقاية، أما الإرشاد فى حالة وقوع الشاب فى الانحراف، فإنه بمثابة قطع الطريق على الضياع الكامل، وإعادة الشاب لتوازنه وفاعليته، وكم من الآباء الذين انصرف أبناؤهم كانوا يريدون إنفاق كل ما يملكون من ثروات، حتى بيع ملبسهم التى يرتدونها فى مقابل أن يرى أحدهم ابنه أو ابنته شخصا عاقلا رزينا مفيدا لنفسه وللآخرين.